أ. الشيخ تاج الدين الهلالي
مفتي عام استراليا

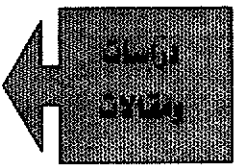

التقريب في الفكر والوحدة في العمل

الحمد لله الذي هدانا بالإسلام، وأعزنا بالقرآن، وآخى بين المسلمين بعروة الإيمان.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك على هادي الأنام، ومصباح الظلام، ورسول الله الملك العلام.

وآله الأطهار الإعلام، وصبحه الأبرار الكرام ومن أتبع طريقهم إلى يوم الزحام

«وبعد»

بالمثال يتضح الحال، ومعرفة واقع الحال يغني عن ألف مقال لذا فإنني أسوق مثالاً توضيحياً تقريبياً فيه من الإشارة ما يغني عن العبارة ومن التلميح ما يغني عن التصريح.

وينبغي على كل مسلم أن يسجله على صفحة قلبه ويوليه مزيداً من التدبر والتفكر والاعتبار.

المثال: يُحكى أن أباً صالحاً حكيماً، زاده الله بسطة في العلم والفهم رزقه الله تعالى أبناء أسوياء.

وحرصا منه على مصلحتهم وتأمين مستقبلهم شيّد لهم قصراً منيعاً وأقام لهم بيتاً متيناً أرسى قواعده وأسس أركانه وأصوله على أرض واحدة صالحة وفق نظام هندسي معماري رائع بديع لا يشوبه عيب أو خلل أو نقصان.

ثم خصص لكل واحد من أبنائه غرفة لائقة مستقلة لها إطلالها الداخلي واتصالها المباشر بالساحة الكلية لقصر العائلة، حيث تشتمل من عيون المياه العذبة والأشجار المثمرة والزروع الكريمة المتنوعة ما يوفر لهم رغد العيش وطمأنينة الحياة السعيدة الآمنة.

وعاش الأبناء في حياة أبيهم أخوة متحابين سعداء متآلفين أعزة آمنين، وحرر الأب وصية رسمية شرعية واضحة جلية توصيهم بالمحافظة على وحدة وسلامة بيت العائلة، وما إن رحل الأب الصالح عن الحياة وانتقل إلى جوار ربه، حتى بدأت معالم التفرد والتعدد والتقسيم تأخذ طريقها إلى هذه العائلة خطوة تلوَ الأخرى.

المرحلة الأولى

- شرع كل فرد من أبناء هذه العائلة في تغيير طلاء وأثاث غرفته وادخال ما يرغب من الأجهزة والمعدات العصرية ووسائل الإعلام والاتصالات الحديثة.
- صنع كل واحد لغرفته بابا ووضع عليه [نقلاً] لا يملك مفتاحه إلا هو ولا يسمح لغيره بالدخول.
- اعتمد كل واحد على نفسه باستقلالية كاملة في إعداد طعامه وأسلوب حياته، وتنوعت الأصوات وتعددت داخل هذه الغرف.

- اقفر [المطبخ] الرئيس للعائلة وأظلمت جنباته وتسلل الفساد والجفاف إلى حديقة القصر نتيجة الإهمال وعدم الرعاية فجفت أشجارها وهلكت ثمارها.

إلى هذا الحد من التعدد والتفرد والانقسام يبدو مقبولاً ومحتملاً، ما دام الأبناء محافظين على هويتهم ووحدة عائلتهم إلا أن الأمر تفاقم وازداد سوءاً يوما بعد يوم حتى بلغ من شأنهم وسوء حالهم أن قام أبناء هذا البيت الكريم بمخالفة نصوص وصية أبيهم فعطلوا حدودها وبدّلوا تعاليمها وشروطها بالسلوكيات والممارسات الآتية.

المرحلة الثانية

أ - فتح كل واحد باباً خارجياً مستقلاً ووضع عليه لافتة تحمل إسماً جديداً مغايراً لإسم العائلة الأصيل الذي أوصى به والدهم.

ب- شرعوا في الاتصال والإنفتاح غير المنضبط بمن حولهم بلا تمييز بين الصالح أو الطالح والطيب أو الخبيث، يستمعون إلى الأباطيل وسموم القال والقيل ويستجيبون لدعاوى الفتن وضلالات المتربصين التي تهدف إلى زعزعة استقرار العائلة وتمزيق شملها وسلب ثروتها، فدب بين أبنائها الشقاق والنـــزاع واستشرى الخلاف والعداء، فصاروا أشداء على بعضهم رحماء بأعدائهم يقربونهم ويدينون لهم بالإمعيّة والتبعية.

ح- بلغ بهم سوء الحال والمآل والانسياق والوقوع في شراك الفتن والمؤامرات المدروسة المسمومة درجة التشكي في أنساب بعضهم وإخراج الآخر من شرعية الانتساب إلى بنوّة الأب.

هذا الأب الواحد، فادعى بعضهم أنه الإبن الشرعي الصحيح لهذه العائلة وأنه

الوارث الشرعي لتركة أبيه، وأن الآخرين أدعياء دخلاء مقطوعو النسب والانتماء.

د- إعلان الانفصال والاستقلال وادعاء الأحقية بسند ملكية مزور مستحدث يَحرمُ الآخرين من تركة أبيهم.

هـ - تفاقمت الأمور، وأوغرت الصدور، وتمكنت منها غوائل الشرور، فأعلنوا الحرب على بعضهم واستحلوا دماء بعض وأورثوا أبناءهم من بعدهم تركة مثقلة بالشحناء والبغضاء، فكان لزاماً أن يتصدع صرح بناء هذه العائلة وأن تذهب ريحهم وتستباح دماؤهم، وأعراضهم، وأرضهم فتداعت عليهم الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها.

ومازالت وليمة الأكل والنهم والابتلاع مستمرة حتى ساعة إعداد هذا المثال.

إن في هذا المثال لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فما هذا الأب الصالح الكريم إلا خاتم النبيين ورحمة الله للخلق أجمعين سيدنا محمد(ص) .

الذي جاءنا بدين له ربّ كريم، ومنهج قويم، وذكر حكيم، وصراط مستقيم، ونبي بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وأورث أمته ديناً حنيفاً قيماً أكمله الله وأتمه وارتضاه دينا قوامه كلمة التوحيد لتوحيد الكلمة، ربُه واحد، وكتابه واحد ونبيه واحد، وقبلته واحدة، وأصوله وقواعده ثابتة دائمة لا تزول ولا تحول.

وما هؤلاء الأبناء إلا اتباع المذاهب الإسلامية، وقد كان المسلمون الأوائل من قبلهم وفي زمان رسولهم أخوة موحدين ومتوحدين وبحبل الله معتصمين، وعلى حب الله ورسوله مجتمعين، وعلى أعدائهم أشداء ظاهرين أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، ذابت في ظل هذه الوحدة الإيمانية النعرات القومية وانتهت

العصبيات القبلية والجاهلية، وتحطمت بقوة نورها الحواجز الجنسية، وأضحت كلمة التوحيد رايتهم وجنسيتهم وهويتهم.

فَخَلَقَ من بعدهم خَلْقاً تناسوا هذه الأصول وأضاعوا تلك القواعد وزاغوا عن هذه المبادئ فانتكست الأمة وأصيبت بعوارض الجاهلية.

فحل الذل والفرقة والهوان محل العزة والوحدة وعلو الشأن.

ذلك أنهم تجاوزوا في خلافاتهم كل معقول، وخلطوا بين الفروع والأصول، ولو اقتصر الخلاف بينهم على قدر المرحلة الأولى لهان الخطب وصغرت المصيبة أما وقد استشرى الداء ونجحت فيهم مخططات الأعداء، ويبلغ بهم الحد إلى درجة ولوج المرحلة الثانية فهذه هي الطامة الكبرى والبلاء المبين..

إستراتيجية التقارب وخطواتها العملية

لو أردنا أن نضع خطوات علمية عملية للتقارب بين المذاهب الإسلامية وإزالة ما بين اتباعها من مخاوف وهمية وتوجسات نفسية وأساطير خيالية.

فبمقدورنا أن نحدد معالمها في خطوات منهجية ثلاث:

١ـــ التعارف . ٢– التعرف . ٣– الاعتراف

وبداية ما المقصود بالتقريب بين المذاهب؟ وما الهدف منه؟

الجواب: التقريب هو انفتاح علمي واستقراء فقهي للتعرف على أدلة أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة للوقوف على حجتهم فيما اختلف فيه من أحكام فقهية.

والغاية منه اتساع المدارك والأفهام ومعرفة أكثر من طريق وبرهان ودليل يصل إلى الغاية التعبدية لتطبيق النصوص الشرعية.

فيلتمس العذر ويحسن الظن بإخوانه المسلمين، وليس المقصود منه دمج المذاهب

في بعضها أو تغليب مذهب على آخر.

إذ أن جميعها روافد أثراء وعطاء للشريعة الإسلامية وتنوع محمود يوفر مناخ السماحة واليسر الذي امتازت به الشريعة الإسلامية.

أولاً: التعارف

التعارف توجيه رباني كريم لبني البشر جميعاً، يُعينهم على تحقيق قانون الاستخلاف الذي أنيط به الإنسان.

وهو مطلب شرعي إلهي أمر به الله تعالى جميع خلقه بعد أن قرر حقيقة كونية واقعية تؤكد أن الاختلاف جبلة فطر الله عليها طبائع البشر، وأن التعدد والتنوع سمة من سمات البشر ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

بينما الوحدانية والتفرد صفة من صفات الله وحده سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣].

ومعلوم بداهة أن التعارف لا يكون إلا بين أقوام متباينين متغايرين.

وإذا كان التعارف مطلب شرعي بين المسلمين وغيرهم من الأمم فإنه بين المسلمين أهل التوحيد آكد وألزم.

مما يعين على طريق التعارف بين المسلمين

١- موسم الحج.

٢- المؤتمرات العلمية والندوات الفكرية.

٣- جامعات إسلامية تعنى بدراسة الفقه المقارن.

٤- وسائل الإعلام المختلفة ذات التوجه الوحدوي والإنساني.

٥- الكتب الهادفة.

٦- إقامة مخيمات إسلامية شبابية تضم إعداداً من جميع المذاهب الإسلامية.

ثانياً: التعرف

وهي خطوة هامة لتصحيح الأفكار المحّرفة والمورثات المغلوطة ولما كان الناس أعداء لما جهلوا.

فإن المواقف السلبية العدائية والأحكام الالغائية الغلوائية التي يتخذها بعض المسلمين تجاه الآخر، مرده إلى الجهل بما لدى هذا الآخر من أدلة وفهم واستنباط، وهذه قضية هامة لا تحتاج إلى دليل أو برهان.

ومن الأخطاء الشائعة المتوارثة لدى عامة المسلمين اعتقادهم بأن مصادر الفقه الإسلامي حصر ووقف على أربعة مذاهب فقط (الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي) بينما قنوات ومذاهب الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة ومصادر التشريع، أسسها وحررها تسعة أئمة ثقات مشهورين وإن لم تشتهر مذاهب بعضهم شهرة الأئمة الآخرين وهم:

١ـــ الإمام/ زيد بن علي زين العابدين.

٢- الإمام/ جعفر الصادق.

٣- الإمام/ أبو حنيفة النعمان.

٤- الإمام/ مالك بن أنس.

٥- الإمام/ الليث بن سعد.

٦- الإمام/ محمد بن إدريس الشافعي.

٧- الإمام/ أحمد بن حنبل.

٨- الإمام/ ابن حزم.

٩- الإمام/ العز بن عبدالسلام.

رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

دليل التعرف للاعتراف

تسهيلاً وتيسيراً لمهمة التعرف على الأدلة العلمية والبراهين الشرعية التي اعتمدها المذهب الإمامي [الجعفري] فيما ذهب إليه من أقوال فقهية، أضع دليلا مرجعياً يرشد الإخوة المسلمين من أبناء المذاهب الأخرى للوقوف على دليل الإمامية، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتبرة عند أهل السنة والجماعة.

ومن المسائل محل الخلاف والتشنيع

١. سلامة القرآن الكريم من التحريف عند الطائفتين

وهذه حقيقة عقدية ثابتة لأن كتاب الله الخالد المهيمن قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم القيامة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

وإذا كان أئمة وعلماء أهل السنة خلفاً عن سلف قد أحكَمُوا وأقرّوا هذه الحقيقة الإيمانية، فإن أئمة المذهب الإمامي الشيعي يؤكدون هذا المعتقد ويجزمون بسلامة القرآن الكريم من التحريف [بالزيادة أو النقصان] ويردّون جميع الروايات الباطلة المشبوهة التي تقول بخلاف ذلك.

وقد نشرت دار «مؤسسة الرسالة في طهران كتاباً بعنوان (سلامة القرآن من التحريف) حققت فيه المسألة وأطنب في ذكر أقوال ومعتقد علماء المذهب في سلامة كتاب الله تعالى من هذه المفتريات الباطلة المدسوسة».

كما أكد على ذلك العلامة السيد مرتضى العسكري في كتابه «معالم المدرستين».

وغيرهما من علماء الشيعة الأعلام الثقات أمثال الشيخ الصدوق والسيد المرتضى، والقاضي نور الله، والعلامة القزويني، والطوسي، والحلي، والإمام جعفر كاشف الغطاء والطباطبائي... إلخ.

٢- الإمامة وحصرها في إثني عشر إماماً

يقول العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها ص ١٢٩ فالإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص وإذا اقتصر على الأركان فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه.. إلخ: مؤكداً أن المسلم لا يكفر لمخالفته اعتقاد الشيعة في مفهوم الإمام ولتحقيق هذه المسألة راجع النصوص في المراجع الآتية:

١ـــ صحيح مسلم: ح ٦ كتاب الإمارة، عدة أحاديث.

٢- البخاري: ح ٨ ، ص ١٢٧.

٣- ينابيع المودة للقزويني الجزء الثالث.

٤- أبو داود.

٥- مسند أحمد.

٦- نور الأبصار للشبنلجي.

٧- الصواعق المحرقة لإبن حجر.

٣- المهدي المنتظر

وقد ورد من شأنه في الأحاديث على مختلف درجاتها من الصحة والحسن ما بلغ

درجة التواتر المعنوي.

وقد أخرج أحاديثه أكثر من مائة وأربعين (١٤٠ إماماً وحافظاً ومحدثاً) من أهل السنة والجماعة مما لا ينكر إلا مكابر عتيد أو جاهل عنيد.

وقد أفرد بعض الحفاظ كتبا خاصة كاملة في ثبوت أحاديث الإمام المهدي(ع) بلغت ٣٠ كتاباً وفي رواية ٤٠ كتاباً.

مثل الحافظ السيوطي في (العرف الوردي) وإبن حجر وغيرهما.

أنظر البخاري، ومسلم ، «حديث نزول عيسى وصلاته مأموماً خلف المهدي» وأبو داود والترمذي، والنسائي، وأحمد، وابن ماجة، والبيهقي، والطبراني، والحاكم، وابن حبان وابن أبي شيبة، وابن تيمية، والذهبي، والدار قطني، والقرطبي، والبغوي، وجميع الحفاظ والمحدثين من أهل السنة دون استثناء.

٤- الجميع بين الظهرين والعشائين

وهي رخصة لهذه الأمة حتى لا يحرج النبي(ص) أمته أنظر المراجع الآتية:

١ـــ صحيح مسلم: ح ٢، ص ١٥١.

٢- صحيح البخاري: ح ١، ص ١٣٨، ص ١٤٠ .

٣- مسند أحمد: ح ١، ص ٢٢١.

٤- موطأ مالك (شرح الموالك) ح ١، ص ١٦١.

٥- التَقيَة

ومما يُشنّع به على المذهب الجعفري جهلا بغير علم ولا فهم اتهام أتباع المذهب «بالتقيّة» ويرونها نوعاً من النفاق لأن المتقي يظهر خلاف ما يبطن.

وهذا فهم منكوس معكوس: إذ إن المنافق هو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان،

بينما التقيّة على العكس من ذلك والتقية مخرج شرعي ثابت بالكتاب والسنة لاتقاء شر أو دفع ضرر.

وأدلتها من الكتاب أنظر أقوال المفسرين في:

لـ الآية ٢٨ من سورة آل عمران «إلا أن تتقوا منهم تقاة...»

ب – الآية ١٠٦ من سورة النحل «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..

ج – الدر المنثور للسيوطي ، ح ٢ ، ص ١٧٦.

د- الطبقات الكبرى لابن سعد «قصة عمار بن ياسر».

هـ – صحيح البخاري، ح ٧، ص ١٠٢.

و- السيرة الحلبية ، ح ٣، ص ٦١ .

ز- أحكام القرآن للرازي، ح ٢، ص ١٠.

علما أن الظلم والاستبداد وأعواد المشانق وبطش السلطة أدى إلى الاستعانة بهذه الرخصة، وهي باقية ما نكبت الأمة بهذه البليات ومن استعجل الرواح إلى الجنة وصدع بكلمة الحق في وجه الطواغيت ولم يأخذ بهذه الرخصة فهو من الشهداء الأبرار، ولا حرج والتقية تعتبر بها الأحكام الشرعية والحرمة، والكراهية، والإباحة واستنباط ذلك لا يخفى على فقيه لبيب.

٦- البَداء

إذا كان البَداء بمعنى نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى، فهذا قول باطل، ومعتقده كافر والعياذ بالله بإجماع المسلمين (سنة وشيعة).

يقول الشيخ/ محمد رضا المظفر في كتابه (عقائد الإمامية) والبداء بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى، لأنه من الجهل والنقص وكلاهما محال عليه تعالى، ولا تقول به الإمامية، ويقول الإمام الصادق(ع): من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء

بداء ندامة فهو عندنا كفر عظيم بالله تعالى وإنما المعنى المراد من (البداء) لا يتعدى قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٤].

أنظر (١) صحيح البخاري ، ح ٤، ص ٧٨، كتاب بدء الخلق.

٢- الدر المنشود للسيوطي ، ح ٤، ص ٦٦١.

٧- السجود على تربة الأرض

ولا يضيقّن صدر السنّي إذا رأى أخاه المسلم الشيعي يحرص على تطبيق سنة نبيه(ص) بالسجود على تربة الأرض أو على ما أنبتته الأرض مثل الورق وغيره، ذلك أنه مضاهاة لسجود النبي(ص) وسلفنا الصالح وإنما رخص السجود على الأثواب والمفروشات للضرورة من شدة حرّ أو برد مع أن مباشرة الأرض عند السجود هو الأصل.

وحسبه ما أخرجه أئمة الحديث عند أهل السنة فليراجع:

١ـــ البخاري ، ح ١، ص ٩، ١١٩، وح ٥، ص ٩٦.

٢- فتح الباري، ح ١، ص ٤١٠، ٤١٣ — ٤١٤.

٣- مسلم، ح ١، ص ٣٧١، ٤٣٣.

٤- مسند أحمد، ح ١، ص ٢٥٠/ ٣٠١، ح ٢، ص ٢٢٢/ ٢٥٠.

٥- إرشاد الساري، ح ١، ص ٤٣٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٨٧.

٦- أحكام القرآن للجصاص، ح ٢، ص ٣٨٩.

٧- تحفة الأحوزي، ح ١، ص ٢٦٢، ٤٠٥.

وأنظر كتب أصحاب السنن جميعها في أبواب صفة سجود النبي(ص).

قواعد ذهبية لكل طلاب العلم الشرعي

وأضع بين يدي طلاب العلم الشرعي بعض القواعد الذهبية التي أقرها

الراسخون في العلم من أئمة الدين وعلماء المسلمين. لتكون لهم نبراساً ودستوراً في تعاملهم مع المسلمين. حتى نلقى الله تعالى خفافاً ناجين وليس في أعناقنا أحد من المسلمين نلنا من عقيدته بالتكفير أو التفسيق.

الأولى: أعلم أخي الحبيب. إن كل حكم شرعي ورد فيه (المنع أو الجواز) يدخل تحت فروع الدين وليس أصول الدين. وبالتالي فإن إدراجه تحت حكم (الكفر، والإيمان) إنما هو تلبيس، وتدليس. لا تقره الأصول العلمية المقررة عند أهل العلم، فلا يجوز لمن ظهر له حكم المنع بدليله أن يكره أو أن يصادر رأي من ظهر له حكم الجواز بدليله. والمسلمون ملزمون بالعمل بما يصح عندهم اعتماداً على أقوال الأئمة المجتهدين لا بما صح عند غيرهم. وبما اقتنعوا به، لا بما أفتى به غيرهم. ثم إن الدين النصيحة. لا الوقاحة ولا التفكير.

الثانية: وقع اتفاق الأمة على أن المسلم إذا عمل عملاً يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً. ثم هو يحتمل الإيمان من وجه واحد. وجب الأخذ بهذا الوجه الإيماني وحده. وإسقاط اعتبار بقية الوجوه، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات فكيف بالآراء في الفروع. ولو تصيّدنا للمسلمين الزلات، وأخذناهم بالشبهات. وفرضنا عليهم رأيا فقهياً واحداً ما دخل الجنة أحد بناء على هذا الفهم السقيم.

الثالثة: روى الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) بإسناد حسن: كفوا عن أهل لا إله إلا الله. لا تكفروهم بذنب، وفي رواية ولا تخرجوهم من الإسلام بعمل. ولكن لا يدخل في هذا النهى من خالف أمراً معلوماً من الدين بالضرورة أو استحل ما حرم الله باتفاق جميع المسلمين. كما لا يجوز لنا أن نستشهد بالآيات القرآنية التي أنزلها الله بحق المشركين ونطبقها على المسلمين لارتكابهم بعض الأخطاء في المسائل الخلافية الفرعية، وسحب حكمها على الموحدين لما في ذلك من نقل للحكم إلى غير موضعه بلا وجه حق.وقد نص

البخاري على أن هذه الطريقة إنما استحدثها (الخوارج) في دين الله حينما عمدوا إلى ما أنزل الله في الكفار. فطبقوه على المسلمين تعصباً وغلوا بغير دليل.

رابعاً: التخلق والتحلي بهذه القواعد التي صدرت عن الأئمة الثقاة: رأيي صواب ويحتمل الخطأ. ورأي غيري خطأ ويحتمل الصواب. وفوق كل ذي علم عليم. كل منا يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب الروضة المشرفة عليه الصلاة والسلام. لنتعاون فيما اتفقا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

توحيد العقيدة

عقيدتنا في آل بيت رسول الله(ص):

نعتقد أن الله تعالى أوجب على المسلمين حبّ ومودة أهل بيت رسول الله(ص) الطيبين الأطهار الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٥].فحبهم إيمان وبغضهم كفر وطغيان، كما أفادت الأحاديث الصحيحة الثابتة في كتب أهل السنة والجماعة بلا خلاف. ومن ذلك قوله(ص).

١ــ يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب...

٢- وقال: مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك (أصحاب السنن).

٣- وقال أيضاً: يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب: وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي (ثلاث مرات) [٦].

٤- أخرج البخاري عن «أبي بكر الصديق» (رضي الله عنه)، ارقبوا محمداً في

أهل بيته[٧].

ولقد لعبت السياسة الحاكمية دورها في تغييب فضل ومنـزلة آل البيت وجعلت من موالاتهم وإظهار محبتهم جريمة كبرى يعاقب عليها القانون، حتى ظن البسطاء من مسلمي الشيعة أن حب آل البيت ليس له في عقيدة أهل السنة نصيب.

والمتأمل الفاحص للتاريخ الإسلامي، يجد الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب الإسلامية عند أهل السنة، وقفوا موقف الدفاع والحب والموالاة للائمة أهل البيت وهم يواجهون السلطة الحاكمة التي سامتهم سوء العذاب.

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال:

يا آل بيت رسـول الله حبكمـو ... فرض من الله في القـرآن أنزلـه

يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو ... من لم يصل عليكم لا صـلاة لـه

وهذا الحب وهذه الموالاة لا تكون بالغلو والإفراط والعبادة يقول العلامة محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية: «ولا نعتقد في أئمتنا ما يعتقد الغلاة والحلوليون: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[٨]. بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإنما هم عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته».

الأمر الذي يوجب على المسلمين إزالة الحواجز الوهمية والموانع العدائية، والموروثات الفكرية، والعقد التاريخية، حيث لا نواصب ولا روافض. فلا خير في سني لا يشايع ويحب آل المصطفى، ولا خير في شيعي لا يتبع هدى وسنة الرسول المجتبى. ولقد أجمع المسلمون على مختلف نحلهم على الإيمان بظهور الإمام المهدي(ع) كما تواترت الآثار، ورواه جمع من أئمة الحديث والحفّاظ والمحققين في جميع المذاهب الإسلامية. وإنه الإمام الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وبه تتحقق نبوءة جده المصطفى(ص) إن آخر مراحل الإسلام بعد نهاية

الملك العضود والملك الجبري، ثم تكون خلافة على منهج النبوة، ويتحقق وعد الله تعالى القاضي بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

٩- عقيدتنا في صحابة رسول الله(ص)

لسنا بحاجة إلى الإفاضة فيما يعتقده أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله(ص) الذين شهدوا الوحي والتنـــزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، فقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرته، وإقامة دينه وإظهار شريعته، ورفع رايته. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١٠]. ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١١].

وجاء عن «ابن عباس» (رضي الله عنهما) قال: لا تسبوا أصحاب رسول الله. فلمقام أحدهم ساعة ـــ يعني مع النبي(ص) ـــ خير من عمل أحدكم أربعين سنة، وفي رواية: خير من عبادة أحدكم عمره. وثبت عنه (ص): «لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»[١٢].

فمن اللائق بنا كمسلمين، أن نتخلق بأخلاق قرآننا وسنة نبينا، فنلتزم الأدب كل الأدب مع الصحب الكرام، نجلهم ونوقرهم ونكف ألسنتنا فيما شجر بينهم، ونعرف لهم فضلهم ومنـــزلتهم وشعارنا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣]. وإن الخوض فيما وقعت فيه الفئة الباغية، وما اقترفه البعض من مواقف وفعال تحمل على البغض

وتوغر الصدور، دعوة إلى فتنة نائمة لا تزيد المسلمين إلا مزيداً من الشحناء والمراء والتنازع المذموم، الذي لا يدفع شراً، ولا يجلب نفعاً ولا يحقق مصلحة. وحسبنا أن الموت عمهم والقبر ضمهم، والقيامة تجمعهم، والى الله مردهم، فيحكم بينهم وهو أرحم الراحمين.

وإنما أود من منطلق رابطة الأخوة والدين والنصح لكافة الأخوة المسلمين سنة وشيعة، أن يكونوا عن اللعن وإثارة المسائل الخلافية والموروثات القديمة تاركين، وعلى حب ومولاة آل بيت النبوة مجتمعين، وعلى احترام الصحابة الكرام وسلفنا الصالح متفقين، وعلى جمع الكلمة وتوحيد الصف متعاونين. وساعة نكون كذلك فإننا نكون قد أرضينا الله ورسوله(ص) والمؤمنين وبحبل الله معتصمين، فتجمع الكلمة وتقوى شوكة المسلمين، ويرد الله تعالى عنهم كيد الكائدين ومكر الماكرين.

أما أعلن أمير المؤمنين علي(ع) وكرم وجهه قائلاً: والله لأسالمن ما سلم الدين، وقال لأتباعه وأنصاره: لا أرضى لكم أن تكونوا لعّانين. إن الأمام الذي كان مع الحق، وكان الحق معه إبان الفتنة، جنب الله المسلمين شر مخافتها. وقف موقفه الرسالي القرآني من مخالفيه فصح عنه أنه قال: والله إني لأرجو أن أكون والزبير وطلحة ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[١٤].

نصيحة أخوية إلى كل مسلم شيعي

مما لا ريب فيه أن العترة الطاهرة وأتباعهم قد تعرضوا لحملات مروعة من القتل والتنكيل على يد السلطة الحاكمة في مراحل متعاقبة من التاريخ، وأن الابتلاء سنة في الأنبياء والصالحين، وغداً تبلى السرائر وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون. بيد

أن البكاء على الأطلال ودوام الأحزان على ما مضى لن يعيد عجلة التاريخ، ولن ينفع المسلمين عيشهم أسرى مظالم مضت بقضاء الله الذي لا يرد، كمن يسعى وينفعل ويخطط للاشتراك في الحرب العالمية الثانية.

إن الأمة الإسلامية في هذه الآونة العصيبة من تاريخها تجتاحها رياح هوج داهمة استباحت أرضهم وعرضهم ودماءهم.

أنّـى اتجهت إلى الإسلام فـي بلد تجده كالطيـر مقصوصاً جناحـاه

أريدك أن تتخلص من الموروثات التاريخية البائدة، وأن ترتقي بفكرك وفهمك إلى مستوى الأحداث التي يعيشها الإسلام في صراعه ضد قوى البغي والإستكبار.

فهل تعلم أخي في الله.. أن إمام المتقين، وصهر سيد الأنبياء والمرسلين، فتى الفتيان وسيد الشجعان، أمير المؤمنين عليّا (ع) قد ارتقى بفهمه إلى حيث تتطلب مصلحة الإسلام والمسلمين فبايع الخلفاء الراشدين، وهو فارس الشجعان الذي لا تلين قناته، ولا يخاف في الله لومة لائم.. بايع وسالم وناصر عن صدق وإيمان، لا عن جبن ولا نفاق، وكان وزير صدق، ومستشار علم، وملهم صواب لأبي بكر وعمر(رضي الله عنهما) طيلة مدة خلافتهما حتى أشتهر على لسان الخليفة الثاني عمر (رضي الله عنه) مقولته: لولا علي لهلك عمر (قضية ولا أبا الحسن لها) (لا كنت لمعضلة ليس لها أبا الحسن) [١٥].

ويسجل التاريخ هذا الموقف للفاروق عمر في إقراره ومعرفته لفضل بيت النبوة. ذلك أنه عندما ولى الخلافة وأرادوا تقسيم بعض المغانم من بيت مال المسلمين، بدأ بالحسن والحسين فقدمهما وفضلهما في العطاء على من هو أكبر منهما سناً في بنيهم، فلما سأل في ذلك قال: أتيني بأب كأبيهما وجد كجدهما، وأم كأمهما، وجدة كجدتهما.

وأذكر أيضاً بعض المواقف الإيمانية الأخوية للإمام لعل المسلمين يتحلون بهذا الخلق الرفيع.

١ـــ ما ورد في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين ص ٢٤٧ ذكر ابن أبي الحديد ج ٢، ص ٣٨٩ إن الخليفة الثاني عمر(رضي الله عنه) لما عزم على غزو الروم بنفسه، أشار عليه أمير المؤمنين بعدم الخروج، فأخذ برأيه والتزم به فقال له: لا تذهب بنفسك، فإن نُكب المسلمون فيك فليس لهم بعدك مرجع يرجعون إليه. فاختر للجيش قائداً مجرباً، فإن انتصر المسلمون فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة لهم، ونظير ذلك أخذ عمر بمشورة الإمام علي عندما نصحه بعدم الخروج على رأس الجيش لقتال الفرس.

٢- كما استشاره أيضاً في تعيين التاريخ الإسلامي، فأشار عليه أمير المؤمنين أن يكون من هجرة النبي(ص) فعمل به[١٦].

٣- وهل تعلم أن الفاروق عمر(رضي الله عنه) صاهر الإمام علياً فتزوج من ابنته أم كلثوم الكبرى. وقد أورد خبر هذا الزواج الإمام «الشباخنجي» في كتابه (نور الإبصار في مناقب آل المختار ص ١٣٦) لقد حرص الخليفة عمر على أن ينال شرف الإنتساب للدوحة النبوية والعترة المحمدية، لعلمه أن رحم رسول الله موصولة في الدنيا والآخرة، فخطب لنفسه «ام كلثوم» بنت فاطمة الزهراء من أبيها علي بن أبي طالب فأعتل الإمام بصغرها، وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر، وكرر الفاروق رجاءه وطلبه حتى أنه صعد المنبر والمسلمون جلوس ثم قال: والله ما حملني على الإلحاح على عليّ في ابنته إلا أني سمعت رسول الله(ص) يقول: «كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري»، فما كان من الإمام إلا أن وافق على تزويجه، وأعلم أم كلثوم بذلك.

قال ابن الصباغ: وكان ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة ودخل بها في ذي

القعدة من هذه السنة. وهي التي أنجبت له زيداً، وتشاء إرادة الله تعالى أن تموت هي وابنها في وقت واحد، فلا يعلم السابق منهما.

٤- وهل تعلم أخي الكريم أن الإمام علياً أسمى أحد أولاده «أبا بكر» الذي قتل مع أخيه الإمام الحسين يوم كربلاء، وأم أبي بكر: ليلى بنت مسعود النهشلي، وأسمى ولداً «عثمان» وأمه أم بنت حزام الكلابية.

٥- وهل تعلم أن الإمام علياً – كرم الله وجهه – الذي رضع من أخلاق النبوة منذ نعومة أظافره، وتربى على موائد القرآن في أحضان بيت الرسالة، أبت عليه أخلاقه أن يسمح بلعن أو شتم مخالفيه[١٧].

٦- وينجلي لنا حرص آل البيت على بقاء عز الإسلام ورفع رايته، وأنهم حريصون على أن لا يثلم ولا يهدم مواقفهم الإيمانية الرسالية من قضايا المسلمين العامة، فقد عضوا على جراحهم، وسَمَوا على آلامهم، وتناسوا أحزانهم في سبيل وحدة المسلمين، ونصرة الدين، وأبلغ دليل على ذلك: أن الإمام زين العابدين على الرغم مما حل به وبالعترة الطاهرة من نكبات وويلات، كان يدعو لجيوش المسلمين في دولة بني أمية في زمن كان الدعاء سلاحه الوحيد، فعلّم شيعته كيف يدعون لجند الإسلام وجيش المسلمين يواجه جيوش الكفر : بدعاء أسماه (دعاء الثغور)[١٨].

دعاء الثغور

اللهم صل على محمد وآله. وحصّن ثغور المسلمين بعزتك وأيد حماتها بقوتك.

اللهم أعز بكل ناحية من المسلمين على من بارزهم من المشركين، وامددهم بملائكة من عندك مردفين، اللهم اشغل المشركين عن تناول أطراف المسلمين، اللهم وأيّما غاز غزاهم من أهل ملتك، أو جاهدهم من أتباع سنتك، ليكون دينك

الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفى، فلقّه اليسر، وهيئ له الأمر. وتخير له الأصحاب.

ولو تتبعنا مواقف المودة والأخوة التي تخلق بها أئمة العترة الطاهرة لما اتسع المجال.

هؤلاء هم الأئمة والأعلام، والسادة الأخيار، الذين صهروا عواطفهم في بوتقة الإسلام، وفهموا قضاياه العامة، فهل آن لنا معشر الأتباع أن نطلق سراح الإسلام من معتقل المذهبية الضيق، إلى سعة الإسلام ورحابة الإيمان فتعف ألسنتنا عن المسلمين أحياء وأمواتاً، ولا نؤذي الأحياء بسبب الأموات، لا سيما وأنهم أفضوا إلى عدل كريم، اللهم خلقنا بأخلاق نبينا، واجمع على الحق كلمتنا وألف بين قلوب المسلمين يا رب العالمين.

نصيحة أخوية إلى كل مسلم سني

لا شك أن الدفاع عن العقيدة واجب شرعي، والذود عن الشريعة مطلب ديني، لكن الإفراط في تكفير المسلمين وإخراجهم من الملة بقواعد من عندياتنا أو تعصبا لرأي من الآراء التي تباينت فيها آراء العلماء، أمر تأباه السنة المحمدية.

وإن الحكم على جماعة أو طائفة بما كتب فيهم، دون الرجوع والإطلاع على مراجعهم والتعرف على أدلتهم إجحاف وظلم تأباه السنة المحمدية، وأن التقوقع والإنغلاق على منهج مذهبي فكري واحد، يصادر كل الآراء والمفاهيم للمذاهب والمدارس الفقهية الأخرى باعتبار أن ما لدينا هو الحق والصواب، وإن ما سواه كفر وضلال أمر تأباه السنة المحمدية، وإن اعتقاد والنجاة وكمال الإيمان لفئة محدودة من المسلمين ومن عداها من السواد الأعظم من المسلمين إنما هم كفار مشركون هالكون، أمر تأباه الشريعة المحمدية.

ولقد هالني ما كنت أسمعه وأقرأه كمسلم عن طائفة الشيعة من أمور يرفضها ويردها الاعتقاد الإسلامي الصحيح. وأخطرها ما يشاع من أن للشيعة قرآنا غير قرآن أهل السنة، وأنهم يؤلهون الأئمة الإثنى عشرية، وأن عقيدتهم تقوم على التقية، وأنهم يسجدون على الأحجار كنوع من الوثنية، وينتظرون خروج الإمام المهدي من سردابه في سامراء بالعراق ويقولون (بالبداء)، ويحلون الزنا باسم المتعة. وأن مواقيت الصلاة عندهم ثلاثة لا خمسة و.. و.. الخ من هذه القضايا التي تتعارض مع العقيدة.

ولما كان الإنصاف يقتضي أن تؤخذ العقائد، ويتعرف عليها بالرجوع إلى أهلها والاطلاع على آرائهم من واقع المصادر والمراجع المعتبرة المعتمدة. فإنني أقسم ولا أستثني قسماً أسأل عنه أمام الله يوم القيامة، أنني بالاطلاع والتدقيق والتمحيص ثبت لدي بطلان هذه المزاعم والأساطير والأباطيل التي لا صلة لها بالحقيقة لا من قريب ولا بعيد.

وأن جلّ من تعرض لهذه القضايا، وتحامل على المسلمين الشيعة قد خلط الأوراق جاهلاً، أو متجاهلاً بقصد أو بغير قصد بين الشيعة الإمامية، وبين الغلاة والباطنية من الفرق الضالة، ممن يعتقد الشيعة الإمامية كفر معتقداتهم. فالقرآن عند الشيعة الإمامية هو نفسه القرآن الموجود عند طائفة أهل السنة، وأن العلماء والمحققين الشيعة قد ردوا كل الروايات الباطلة التي تقول بالزيادة أو النقصان، وتناولوها بالنقد والبطلان، وعقيدتهم أنها روايات مردودة وأن من قال في القرآن بالزيادة والنقصان أو التحريف فهو خارج عن ملة الإسلام، وقد نقلت عنهم معتقدهم في الأئمة من كتاب عقائد الإمامية تحت عنوان (عقيدتنا في آل البيت) وأن التقية ثابتة بالكتاب والسنة، ولها شرائطها ومظانها، وهي بخلاف النفاق، ومن الغريب المضحك أن ساسة وحكام الدول العربية والإسلامية، قد استعملوا التقية في

صراعهم ضد إسرائيل والهيمنة الأمريكية بينما جاهر الشيعة في لبنان، وفي إيران و لم يستعملوا التقية والدبلوماسية، على حساب القضية الفلسطينية أو القضايا الإسلامية.

ولو اطلعنا على مفهوم الشيعة لمسألة عصمة الأئمة، لوجدنا أن هذا الفهم لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام. وأنهم يجمعون بين الظهرين والعشاءين ، يرون أن التفريق أفضل وهذه قضية فقهية لها دليلها من فعل النبي(ص) رخصة لأمته، كما روى حديث الجمع بلا عذر، الإمام مسلم وغيره. أنهم يستحبون السجود على تربة الأرض أو على ما صعد منها من نبات وغيره تحقيقاً للسنة النبوية، وحيث أن هذا هو صفة صلاة وسجود النبي(ص) وخلفائه الراشدين، فراجع أحاديث الخمرة والسجود على حصى الأرض مباشرة، والتي رواها البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

أما تفضيل تربة على تربة منها تربة كربلاء خاصة، فهي الأمر مندوحة ونظر وهي مسألة لا تتعلق بأصل من أصول الدين وشتان بين من يسجد على التربة وبين من يسجد للتربة.

وإذا كان أهل السنة يرون حرمة نكاح المتعة، ولديهم أدلتهم فإن الشيعة الإمامية يرون إباحة هذا النوع من النكاح، وفق شروط وأركان وقيود ولديهم أدلتهم وأسانيدهم.

أما حكاية السرداب فهي خرافة مزعومة لا أصل لها ولا وجود، إلا في أساطير قصص ألف ليلة وليلة، والغريب أن السرداب المزعوم من توابع مسجد للمسلمين السنة بمنطقة سامراء بالعراق. وأن البداء ليس نسبة الجهل لله سبحانه وتعالى، وإنما هو في إطار مفهوم قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١٩]. (الرعد: ٣٩).

وبالجملة فما من فرية أو شبهة أو قضية تنسب إليهم إذا ما رجعنا إلى المصادر المعتمدة، الا وثبت لنا قوة الحجة وسلامة الدليل الذي يؤكد إسلامية الرأي والمعتقد، مما يشهد له نظري في مذاهب أهل السنة، ولكن الناس أعداء لما جهلوا. وحتى المسائل التي لا يعاضدها ولا يشهد لها دليل في مذاهب أهل السنة ولا يؤمنون بها: تعتبر عندهم من مسائل الفروع لا مسائل الأصول وبالتالي لا حرج ولا تكفير لمن لا يؤمن بها.

وإني أناشد كافة العلماء والدعاة من أهل السنة بضرورة الإطلاع على بعض الكتب والمراجع العلمية التي تناولت هذه القضايا (معالم المدرستين) وكتاب (أصل الشيعة وأصولها). وغيرهما للعلماء المعاصرين.

ومن أشهر الكتب التي أشهرت سيف الحرب والتشهير والتكفير لطائفة الشيعة وسط الحملات المسعورة التي شهدتها الساحة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران حيث تبين لأولئك الغيورين الفارسية والمجوسية وبدا لهم خطر الأفكار الشيعية بعد سقوط الشاه، وبعد أن حولت السفارة الإسرائيلية إلى مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبعد أن رفضت إيران المنظومتين الشرقية والغربية. من أشهر هذه الكتب كتاب (عقائد الشيعة الإثنى عشرية) لإحسان الهي ظهير الباكستاني. حاسبه الله على ما هو أهله، فهو الآن بين يدي أحكم الحاكمين، وقد أحسن الرد عليه الداعية الإسلامية الكبير الشيخ «محمد الغزالي» - رحمه الله — في كتابه (الوحدة الإسلامية).

وثانيها كتاب (الخطوط العريضة للشيعة الإثنى عشرية) لمحب الدين الخطيب، ولقد مكنت شهوراً أحقق وأدقق فيما أورد من قضايا ومزاعم وافتراءات فثبت يقينا أنه قد افترى على المسلمين الكذب والتلفيق. وربما نقل هذه الروايات عن كتب الغلاة والباطنية، ثم نسبها زوراً إلى طائفة كبيرة من المسلمين، وقد رد عليه

وفند مفترياته العلامة (لطف الله الصافي) في كتابه (مع الخطيب في خطوطه العريضة) وقال فيه: إن الإقدام على طبع ونشر وتوزيع كتاب الخطوط العريضة لهذا المؤلف إسهام في ترويج الباطل ذلك أنه:

١ـــ دعوة إلى إحياء الفتنة وتأجيج نيران العداوة بين المسلمين.

٢- ترويج لمزاعم وأباطيل وخرافات تتهم طائفة من المسلمين بلا سند ولا برهان.

٣- إيذاء للمؤمنين بغير حق والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (٢٠).

٤- الهاء المسلمين وإنشغالهم بقضايا خلافية تبدد طاقتهم، وتذهب ريحهم، وتبعدهم عن قضاياهم المصيرية الهامة وبخاصة الأقليات الإسلامية، في البلاد الغربية المهددة بالضياع والذوبان.

٥- يقدم خدمة كبيرة للمستشرقين وأعداء الدين الطاعنين في القرآن الكريم بالتحريف، والتعدد والتبديل، فقد تعدد القرآن الكريم عند المسلمين كما تعددت الأناجيل.

الخاتمة

وبعد: أخي المسلم إن رسول الله(ص) يهتف في أعماقك وسويداء قلبك قائلا: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتّ لا أرضا قطع،ـــ ولا ظهراً أبقى». ورب العزة جل وعلا يناديا: ﴿ ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢١).

إن قواعد الشريعة سمحة مرنة سهلة وسعها الله تعالى فلا تضيقوها، ويسّرها فلا تعقدوها، وما أنزلها الله تعالى إلا لتحقيق مصالحنا وأولها الوحدة والتوحيد والتآخي

والاعتصام بحبل الله تعالى.

وإن تعدد الآراء في المسائل المختلف فيها لا يفسد للود قضية، ولا يحول دون الحب والاحترام والتقدير.

إن كل الجماعات والفرق الإسلامية على ثغرة من ثغور الإسلام، تنضوي تحت لوائه وتدافع عن حرماته في حدود مكاناتها وتخصصاتها، وتوجهاتها وتعمل على عودة دولته الضائعة المسلوبة، وأعداء هذا الدين لا يفرقون بين طائفة وأخرى، وإنما يخططون لاستئصال شأفتكم وإلغاء وجودكم.

وإن الالتفات عن تلك المهمة وهذا الهدف بان يحارب بعضنا بعضا ويكفر المسلمون بعضهم، ويتصفون بصفة أهل النار كلما دخلت أمة لعنت أختها، إنما هو جريمة موبقة لا تخدم إلا مصلحة أعداء الإسلام.

إنني أردت بهذا المبحث أن يكون ومضة نور تزيل ظلمة ما في الصدور، وهو تذكرة للمتعنتين، والمتهوسين والمغرضين والمنتفعين المبتلين بالميول العدوانية، وضحالة العلم، وضيق الأفق، واللائذين حين تعوزهم الحجة، ويخالفون في الرأي إلى الشتم واللعن والتكفير، فهذه بضاعة المفلسين ورأس مال المتنطعين.

واعلم أنك لو أطلعت على آراء وأدلة مخالفيك لا لتمست لهم العذر وحسنت بهم الظن. وما بلغ بك التعصب إلى درجة التكفير أو التبديع ولا يزال المرء عالماً ما طلب العلم. فإن ظن أنه قد علم فقد جهل وفوق كل ذي علم عليم.

وختاماً أخي الحبيب

إلام الخلاف على ذي (الفروع) ... وكلّ ينافحُ عن مذهَبهْ
وليس الصوابُ بحكر على ... فقيه.. ولا مقتد بَعُدَ بهْ
تعدّدت (الطرق) نحو الصواب ... فخذ ما تشاء ولا تشبهْ

وَمَثَـلُهُ بـــ(الكعبة) المصطفـــاة ونـــحن حوَاليهـــا (فانتبهْ)

وأذكّر بما قاله الأمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) في قاعدته العملية . (حسبنا من المسلم ما يكون به مسلما). وسيبقى الخلاف ما دام هناك اختلاف في العقول والتحصيل والفهم والاستنباط والبيئات.

وإن محاولة جمع المسلمين في مذهب واحد وعلى فكر واحد ورأي واحد أمر صعب المنال، وغاية لا تدرك، وهو لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى، وهو أمر دونه جمع نجوم السماء. والله تعالى يقول:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٢٢].

لولا التنافس في الدنيا لما وضـــعت كتب التناظر لا المغنى ولا العمـــد

يحللـــــون بزعم منهـــــم عقداً وبالذي وضعـــوه زادت العقـــدُ

فما أحوجنا معاشر المسلمين: إلى أن ننشغل بعيوبنا، وطوبى لعبد شغلته عيوبه عن عيب الناس، ونعمل على إصلاح نفوسنا ونحسن الظن بإخواننا المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- لأنفال/٦٣.

٢- هود/ ١١٨ - ١١٩.

٣- الحجرات/ ١٣.

٤- الرعد/ ٣٩.

٥- الشورى/ ٢٣.

٦- صحيح مسلم باب فضائل علي، ج٥، ص ١٢٢، صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٨، مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٤٨، مسند أحمد ، ج ٣، ص ٧.

٧- الطحاوي، ص ٢٩١.

٨- الكهف/ ٥.

٩- التوبة/ ١٠٠.

١٠- الحشرة/ ٨ .

١١- الحشر/ ١٠.

١٢- البخاري ومسلم.

١٣- البقرة/ ١٣٤.

١٤- الحجر/ ٤٧.

١٥- عقائد الإمامية/ ١١٦.

١٦- ابن جرير، ج ٢، ص ٢٥٣، السيوطي في تاريخ الخلفاء.

١٧- انظر نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٠٤.

١٨- انظر الصحيفة السجادية ، رقم ٢٧.

١٩- الرعد/ ٣٩.

٢٠- الاحزاب/ ٥٨.

٢١- الأنفال/ ٤٦.

٢٢- هود/ ١١٨.